جسر

الثلاثاء ٣٠ نيسان ٢٠١٣ / العدد الثامن عشر / السنة الأولى

سورية أسبوعية مستقلة

سوريون ٤
مراهقون ويافعون يندفعون إلى ميادين العمل العسكري ومطالبات بتحييدهم عن الصراع

ملف العدد ٦
حكومة العراق تغلق بوابة البوكمال الحدودية مما يزيد معاناة الأهالي

عائلات علوية تغادر منازلها في دمشق وريفها نحو الساحل ومناطق تكتل الطائفة

امرأة: ماذا سيفعلون بنا إن سقط النظام؟ كل ما نقرأه على تنسيقياتهم تهديد ووعيد

معبر سي مالكا/ فش خابور
ضرائبه تطال الأفراد و السلع ولا تُراعى فيه معاناة الأهالي ٧

تل أبيض
بلا كهرباء حتى تحرير مقر الفرقة ١٧ في الرقة ٩

معارك حمص
هل بدأ النظام برسم دولته الطائفية؟ ١١

تثوير السياسة أم تسييس الثورة

عبد الناصر العايد

للأسف الشديد فشلت الطبقة السياسية السورية المعارضة حتى الآن في مواكبة الثورة التي نشأت في ظلها، وكان المأمول أن يبلغ أعضاء تلك الطبقة، بعد ما يزيد على السنتين من الاشتباك المكثف مع مختلف القضايا والأطراف، مرحلة من النضج في الذهنية والأدوات، تؤهلها لتولي زمام الثورة السورية، وقيادتها إلى برّ الأمان. لقد أغرق السياسيون المعارضون أنفسهم بأخطاء قاتلة، في هذه المرحلة الحساسة، وفي غمرة لعبة البدائل وقعوا في فخ الانفصال عن الجمهور الذي صنع الثورة، وسقط بعضهم في حبائل الدوائر السياسية الإقليمية والدولية، أو تورطوا في الصراع فيما بينهم على النفوذ والبروز، ففقدوا شرعيتهم، واحترام السوريين لهم، ووضعوا بذلك كل المرحلة القادمة أمام خطر عدم وجود قيادة سياسية عامة متوافق عليها. لقد دفع ذلك غالبية السوريين للالتصاق بالحل الثوري وممثليه من المقاتلين، فهم أكثر تشدداً أخلاقياً، وموقفهم أوضح، وأميل إلى استنساخ الموقف الشعبي، الذي لا يحتاج إلى تأويل وتحليل. لكن مكمن قوة هذا الخيار قد يكون موضع خطورة أيضاً، فثمة احتمال كبير لظهور تيارات داخل الثورة، تنحو منحىً شعبوياً عنيفاً، يعيد إنتاج الشموليات الديماغوجية، التي تحتكر السلطة، وتقصي الآخرين. إن الحرب هي السياسة بوسائل أخرى، هذه قاعدة لا يمكن تجاوزها، وكان يمكن للمعارضة السورية أن تعمل مع الثوار المقاتلين وفقها، خاصة بعد أن تبين أن الحرب ضرورة لا محيص عنها لإسقاط النظام، لكن ذلك لم يحدث حتى الآن، وهذا ما أجبر قوى الثورة في الداخل إلى تكوين سياستها، التي تتسم بالمناطقية أحياناً، والعقائدية التي لا تصلح للسياسة في أغلب الأحيان. أمامنا والحال هذا أحد خيارين لإعادة التوازن إلى جسد الثورة السورية، فإما أن يعود السياسيون إلى دورهم بجديّة، أي تثوير السياسة، وإما يمنح هذا الدور للرؤوس السياسية التي بدأت بالظهور بين تجمعات الثوار في الداخل، أي تسييس الثورة، والخيار الأول عسير كما أرى، والثاني مقامرة تحف بها المخاطر.

الأخوان المسلمون يعتزمون فتح مكاتب لهم داخل سورية

صرح المراقب العام لجماعة الأخوان المسلمين في سورية رياض الشقفة، في مقابلة له مع صحيفة «فاينانشال تايمز» بأن الجماعة تعتزم فتح مكاتب لها داخل سورية.

وقال الشقفة إن «الجماعة اتخذت قراراً في الآونة الأخيرة لإحياء هياكلها التنظيمية داخل سورية، وطلبت من أتباعها البدء بافتتاح مكاتب للجماعة في المناطق التي يسيطر عليها الثوار». وحول دوافع ذلك، قال الشقفة إن «الوقت للثورة وليس للايديولوجيا، لكن هناك الآن العديد من الجماعات في الداخل، ما دفعنا إلى إعادة تنظيم أنفسنا والترويج لنهج أكثر اعتدالاً من التفكير الإسلامي، في وقت تتزايد فيه أفكار التطرف»، وندد الشقفة بما أسماه «الحملة المدعومة من قوى خارجية ضد الجماعة»، بعد «اتهامها» بمحاولة السيطرة على المعارضة السورية، موضحاً أن من يهاجموهم لا يملكون أي نفوذ على الأرض، وهم شخصيات إعلامية تحاول من خلال مهاجمة الأخوان تحقيق تأثير لها، معتبراً أن فوز الأخوان المسلمين في مصر وتونس أثار المخاوف من أخوان سورية. وكانت جماعة الأخوان المسلمين شكّلت كتائب مسلحة داخل سورية، وشاركت في اجتماع عُقد في اسطنبول، أيار الماضي، وأصبحت الآن جزءاً من القيادة العسكرية العليا لجماعات المعارضة المسلحة، وهذه الكتائب بات لديها قيادة خاصة، وأعلنت عن استعدادها لتسليم أسلحتها بعد الثورة.

الجمهوريون يضغطون في الكونغرس لتدخل عسكري في سورية

ضغط عدد من الأعضاء الجمهوريين في مجلس الشيوخ الأمريكي، يوم الأحد، على الرئيس باراك أوباما للتدخل في "الحرب الأهلية" في سورية قائلين إن "أمريكا تستطيع مهاجمة القواعد الجوية السورية بالصواريخ، لكنها يجب ألا ترسل قوات برية إلى هناك". وقال السناتور الجمهوري لينزي جراهام لقناة (سي بي إس) إن "من شأن تحييد السلاح الجوي الذي يتيح تفوقاً للقوات الحكومية على مقاتلي المعارضة أن يحول مجرى المعركة سريعاً". وأضاف جراهام، السناتور عن ولاية ساوث كارولاينا، أن "السبيل الوحيد لمنع القوة الجوية السورية من التحليق هي قصف القواعد الجوية السورية بصواريخ كروز" معتبراً أن الأمر يتطلب عملاً دولياً لإنهاء الصراع" لافتاً إلى عدم الحاجة لإرسال قوات برية. وقال أوباما، يوم الجمعة، إن "استخدام أسلحة كيماوية في سورية سيغير قواعد اللعبة بالنسبة للولايات المتحدة"، لكنه أوضح أنه لن يتعجل بالتدخل على أساس أدلة وصفها بأنها "لا تزال أولية". بدوره، ذكر السناتور جون ماكين، المرشح الجمهوري في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٨، أنه "ينبغي على الولايات المتحدة أن تكثف دعمها لمقاتلي المعارضة السورية، حتى إذا تبين أن قوات الأسد لم تستخدم غازات سامة في الصراع". وقال ماكين لتلفزيون (إن.بي.سي) "يمكننا استخدام بطاريات (صواريخ) باتريوت وصواريخ كروز" لافتاً إلى ضرورة تجهيز قوة دولية للذهاب إلى سورية لتأمين مخزونات الأسلحة الكيماوية، كي لا تسقط مستودعات تلك الأسلحة الكيماوية بأيدي الإسلاميين، على حد قوله. واعتبر مكين في الوقت نفسه أنه سيكون من الخطأ دخول قوات برية إلى سورية، لأن هذا سيجعل الشعب يقف ضد أمريكا. ومن ناحية أخرى، أعلنت واشنطن الأسبوع الماضي أنها سترسل وحدة قيادة من الجيش، يمكنها نظرياً قيادة قوات قتالية، إلى الأردن في تعزيز لجهود بدأتها العام الماضي للتخطيط لإرسال وحدات إلى هناك مع اشتداد الأزمة. وكشف البيت الأبيض، يوم الخميس، عن معلومات للمخابرات الأمريكية، ترجح أن سورية استخدمت بالفعل أسلحة كيماوية، وهي خطوة اعتبرها سابقاً الرئيس الأمريكي باراك أوباما أنها "قد تؤدي إلى عواقب" لم يحددها، لكن تصريحاته فسرت على نطاق واسع على أنها تعني ضمناً احتمال القيام بعمل عسكري أمريكي.

وفد مصري عال المستوى إلى ايران لبحث الوضع في سورية

زار اثنان من كبار مساعدي الرئيس المصري محمد مرسي إيران لإجراء محادثات بشأن مبادرة إسلامية، للوصول إلى حل سلمي في سورية. وضم الوفد المصري كل من عصام الحداد مساعد الرئيس المصري للعلاقات الخارجية والتعاون الدولي ومحمد رفاعة الطهطاوي رئيس ديوان رئيس الجمهورية، حيث اجتمعا مع مسؤولين إيرانيين لمتابعة نتائج زيارة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد لمصر، في شهر شباط الفائت. وقال بيان أصدرته وزارة الخارجية الإيرانية إن "الجانبين اتفقا على ضرورة وضع خطة عمل للتحرك بشأن خطة الرئيس المصري بخصوص الأزمة السورية، من خلال حل سياسي مقبول، يمكن أن يساعد في إنهاء العنف ويفضي إلى المصالحة الوطنية بمشاركة شعب سورية". ودعا مرسي العام الماضي إلى تشكيل "لجنة رباعية إسلامية" تضم إيران إلى جانب مصر والسعودية وتركيا لتحاول الوصول إلى حل في سورية. واجتمع المسؤولان المصريان الزائران مع أحمدي نجاد وشخصيات كبيرة مسؤولة عن السياسة الخارجية الإيرانية، وهم مستشار الأمن الوطني سعيد جليلي ووزير الخارجية علي أكبر صالحي وعلي أكبر ولايتي مستشار السياسة الخارجية للمرشد الأعلى آية الله علي خامنئي.

انفجاران في دمشق خلال يومين دون أن يتبناهما أحد

هز انفجاران العاصمة السورية، دمشق، على مدار يومين متتالين، الأول وقع في منطقة المزة، يوم الاثنين، مستهدفاً موكب رئيس مجلس الوزراء وائل الحلقي، الذي لم يصب بأذى، بحسب مصدر رسمي سوري، والآخر وقع، يوم الثلاثاء، في منطقة المرجة، قرب مبنى وزارة الداخلية القديم، رغم أن الطريق إلى البناء يمنع دخول السيارات فيه منذ أكثر من عام، وخلّف الانفجاران حوالي عشرين شهيداً وعشرات المصابين، فضلاً عن الأضرار المادية.

وطالبت وزارة الخارجية والمغتربين بمجلس الأمن، باعتماد موقف حازم حول ما أسمته «مكافحة الإرهاب» عقب التفجيرين الذين استهدفا منطقتي المزة والمرجة بدمشق.

وبلغ عدد ضحايا تفجير المرجة ثلاثة عشر شهيداً وأكثر من سبعين مصاب، بحسب وكالة سانا للأنباء، فيما تسبب تفجير منطقة المزة، الذي وقع قرب حديقة ابن رشد، بوقوع ستة شهداء وثلاثة عشر جريحاً، بحسب وكالة سانا، وعرض التلفزيون السوري صوراً من المكان تضمنت أشلاء وجثث وآثار دمار في مكان الانفجار، شملت عشرات السيارات المحروقة.

و أعلنت مصادر معارضة، بحسب ما نقلته بعض الوكالات، أن الاعتداء بالسيارة المفخخة الذي استهدف موكب الحلقي، أدى إلى مقتل حارسه الشخصي، وإصابة ثلاثة آخرين.

وظهر الحلقي بعد الحادثة على القنوات المحلية خلال ترؤسه اجتماعاً للجنة الاقتصادية، حيث قال، وفقاً لوكالة سانا إن «هذه التفجيرات الإرهابية دليل إفلاس وإحباط المجموعات الإرهابية، بسبب بطولات وانتصارات الجيش السوري، بالإضافة إلى إصرار الشعب السوري على تنفيذ البرنامج السياسي لحل الأزمة، الذي أطلقه الرئيس بشار الأسد، باعتباره المخرج الوحيد والآمن من أجل إعادة عجلة البناء والإعمار والاستمرار في مسيرة التنمية الشاملة».

ووصف وزير المصالحة الوطنية علي حيدر التفجير بأنه «جولة من جولات العنف العبثي الذي يستهدف أشخاصاً غير ملوثين»، لافتاً أنه رغم وقوع تفجيرات إلا أن «الإجراءات الأمنية أثبتت فاعليتها في بعض الأماكن».

من جانبه، دان الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون التفجير الذي استهدف موكب الحلقي، بحسب بيان صدر عن الأمانة العامة للأمم المتحدة، وذكر البيان أن «كي مون دان دوماً كل الأعمال الإرهابية، فضلاً عن أن استهداف المدنيين والأملاك المدنية من قبل أي شخص أمر غير مقبول». وأكد البيان أن بان كي مون لا يزال قلقاً للغاية إزاء التصعيد المستمر للعنف في سورية، حيث يتعرض المدنيون للقتل والإصابة والاختطاف والاحتجاز كل يوم.

وشهدت العاصمة سلسة من التفجيرات، وإلى الآن لم تقدم السلطات الرسمية نتائج التحقيق حول مرتكبها، وتكتفي باتهامات إعلامية لمن تسميهم «العصابات الإرهابية المسلحة»، وتثار دائماً علامات استفهام لدى أطراف المعارضة حول هوية منفذ هذه التفجيرات، نظراً للتشديد الأمني الكبير الذي تشهده العاصمة، حيث تنتشر الحواجز بكثرة، وتقوم بالتدقيق عند النقاط الحساسة.

علي خامنئي: حكومة سورية ليست شيعية والمعارضة هناك علمانية معادية للإسلام

استبعد المرشد الإيراني، علي خامنئي، أن يكون ما يجري في سورية هو حرب بين السنة والشيعة، معتبراً أنه حرب بين "أنصار المقاومة ضد إسرائيل وأعدائها"، ووصف المعارضة الموجودة في سورية بأنها "علمانية معادية للإسلام".

وقال خامنئي، في كلمة ألقاها، الاثنين، أمام مؤتمر "ديني" في طهران، إن "وسائل الإعلام التابع والمأجور يصور الحرب في سورية على أنها نزاع سنّي . شيعي، وهو ليس كذلك، إنما بين أنصار المقاومة ضد الصهيونية ومعارضي هذه المقاومة، فضلاً عن أن الحكومة السورية ليست شيعية".

وتطرق المرشد الإيراني بعد ذلك إلى الوضع في البحرين قائلاً "هذه الموجة الإعلامية تؤدي دورها بشكل آخر في البحرين لاختلاق الكذب والخداع، ففي البحرين توجد أكثرية مظلومة، فهل يصح أن نعتبر الصراع شيعياً- سنياً لأن هذه الأكثرية المظلومة من الشيعة، والحكومة المتجبّرة العلمانية تتظاهر بالتسنّن؟".

وتتهم المعارضة السورية إيران باستمرار بالضلوع بشكل مباشر في القتال ضد مقاتليها، من خلال فرق مدربة تعود للحرس الثوري الإيراني، فيما تنفي إيران ذلك، وتؤكد دائماً أنها تدعم "الحل السياسي الذي يختاره الشعب السوري فقط".

وكالة روسية تؤكد استهداف طائرة روسية في سورية ومؤسسة الطيران تنفي

ذكر مصدر روسي مطلع، يوم الاثنين، لوكالة «انتر فاكس» الروسية أن طائرة ركاب روسية تعرضت لهجوم في الأجواء السورية بصاروخي «أرض – جو»، لكنها لم تصب بأضرار، فيما نفت المؤسسة العامة للطيران ذلك الخبر.

وقال المصدر، بحسب الوكالة، إن «الطرف السوري أبلغ الجهات الروسية أن صاروخين من نوع (أرض – جو) أطلقا إلى الطائرة الروسية وانفجرا بالقرب منها، إلا أن طاقم الطائرة تمكن من تغيير خط سيرها، وإنقاذ حياة الركاب».

وأشار المصدر إلى أن المعلومات الأولية تشير إلى أن الصاروخين أطلقا بشكل متعمد، لكنه ليس معروفاً حتى الآن ما إذا كان المعتدون يعرفون أن الطائرة روسية»، لافتاً إلى أن «عدد الركاب على متن الطائرة ناهز ٢٠٠، وغالبيتهم سياح كانوا في طريق عودتهم من أحد المنتجعات المصرية».

بدورها، قالت مدير عام مؤسسة الطيران العربية السورية غيداء عبد اللطيف إنه «بعد التدقيق مع كافة الأبراج وأقسام الحركة الجوية في جميع مطارات القطر، تبين أنه لا صحة للأنباء الواردة بهذا الخصوص، ولم يحصل قطعاً أي استهداف لطائرة روسية أو غيرها في الأجواء السورية»، بحسب أحد المواقع الالكترونية.

ولم تتبنّ إلى الآن أية جهة من جهات المعارضة تلك العملية، رغم أنها دائماً تنشر مقاطع فيديو على الانترنت عن العمليات التي تقوم بها من استهداف دبابات وإسقاط طائرات.

مؤسسة الطيران العربية السورية

مراهقون ويافعون يندفعون إلى ميادين العمل العسكري ومطالبات بتحييدهم عن الصراع

فتى: لا أخشى من الموت فإن متّ كنت شهيداً

حسين الغجر/ حلب

«يلعن روحك يا حافيييظ» صرخ بصوت مرتفع، رغم أنه يعاني من مشاكل كثيرة في النطق، مستفزاً بهتافه القنّاص الذي يرابط على بعد عدة أمتار عنه، ليختبئ بعدها خلف جدار يحميه من رصاصات يعاجله بها القناص، رداً على هتافه، ويجري الفتى ضاحكاً، فهذه اللعبة باتت مصدر تسليته.

حمدو (١٧عاماً) من سكان حي كرم الجبل في مدينة حلب، الذي طاله الدمار جراء قصف النظام لمعظم أحياء حلب، تطوع للعمل في محرس تابع للجيش الحر في منطقته، منذ شهر تقريباً، وهو يعاني من صعوبة في النطق والسمع، لذا قام أخوه بالتحدث نيابة عنه لترجمة ما يقول، فيروي «فشلت عائلتنا عن ثني حمدو عن التطوع في الجيش الحر، فبات يخرج يومياً لقضاء وقته في المحرس الذي خصص له، رغم المخاطر التي تحيط به».

لم يتحدث حمدو كثيراً عن نفسه، فكلامه كله دار حول إصراره على القتال ضد النظام الذي دمّر وقتل أبناء حيّه، وأنه يجب الاستمرار بذلك حتى يتم تحقيق النصر.

من التشرد للقتال

«لم أعد أخشى شيئاً» هذا ما قاله عمر (١٦عاماً) في بداية لقاء «جسر» معه، لا يعرف عمر والده إلا إلا من خلال اسمه، فقد تركهم منذ زمن بعيد، وأمضى معظم سنواته بعد تركه للمدرسة، في شوارع حلب نهاراً، لينام في الحدائق والسيارات ليلاً، وباندلاع الثورة انتقل للعمل في صفوف المقاتلين.

مهمة عمر الحراسة، يحمل بندقيته متحسباً من وقوع أي طارئ لإعلام المقاتلين، وجوّاله لا يكف عن ترديد أهازيج الثورة وأناشيدها، رغم أن حديثه بمجمله دارعن الأحياء التي دمّرت وعن أعداد القتلى، وأنه بات على يقين أنه لا يوجد مكان آمن على الإطلاق.

مقاتل يحلم بورشة سيّارات

ولمهند (١٥ عاماً) وهو أصغر من التقتهم «جسر» حكاية أخرى ومعاناة جديدة، إلا أنها لم تبدأ بالحرب، فمهند لم يكمل دراسته إذ أجبره والده على تركها، والعمل في ورشة لتصليح السيارات، محملاً إياه عبئ عائلة مكونة من ستة أفراد.

قسوة والده في معاملته كانت تتجلى في ربطه بسلاسل حديدية، عندما يشتكي منه صاحب ورشة السيارات في حال ارتكب خطأً ما أو عبّر عن تعبه أو مرضه، فيجبره الأب على العودة إلى العمل من جديد. لم يحتمل مهند ذلك فهرب إلى إحدى النقاط التي قال إنها لشرطة أحد أحياء حلب المحررة، لينتقل فيما بعد إلى المجموعة التي يعمل معها الآن. لم يتردّد مهند عن التعريف عن نفسه بأنه مقاتل ويحب الاشتباكات، ولا يخشى من الموت حيث أنه سيكون شهيداً، بحسب تعبيره، إلا أن لديه أحلام لا تتعلق بالأعمال القتالية، فهو يريد أن يصبح مالكاً لورشة تصليح سيارات كبيرة، ويعزو حلمه هذا إلى أن تلك المهنة «بتقص ذهب».

ظروف صعبة

والتقت «جسر» أبو عادل وهو مقاتل متواجد مع مهند، للحديث عن عمل الشبان اليافعين معهم، فيقول «نحن نرفض وبشدة وجود أي فتى دون الثامنة عشر عاماً في أماكن الاشتباك والمناطق الخطرة، إلا أني أحمل المسؤولية وألوم الجمعيات والمنظمات التي من واجبها أن ترعاهم».

ويؤكد أبو عادل أن تلك المجموعات القتالية لا ترغب بوجود اليافعين ضمن صفوفها إلا أن معظمهم من أسر مفككة وغير مسؤولة، ومنهم من تعرض لظلم من قبل أهله فلجأ للقتال، وطالب بوجود جمعيات ومؤسسات تنحيهم عن القتال وتقوم بمساعدتهم، فهم ما زالوا صغاراً ومن حقهم التعلم والعيش حياة كريمة، ويختم بالقول «من سوء حظهم أنهم انتموا لعوائل لم تهتم بهم، ومن سوء حظنا جميعاً بقاء هذا النظام الذي شوه كل شيء في المجتمع».

بيئة غير سليمة

بدوره اعتبر عابد، وهو ناشط إعلامي من حلب، أن تلك الظاهرة نتيجة طبيعية للـ «الجهل المتجذر في المجتمع»، إذ يرى أن الأطفال سابقاً كانوا يمارسون الكثير من الأعمال التي لا تتناسب مع أعمارهم، كتصليح السيارات وبيع البضائع والعمل في المطاعم وغير ذلك، لذا فمن الطبيعي في ظل وجود هكذا ثقافة أن ينخرط هؤلاء في العمل المسلح عند انتشاره، وسط غياب للمنشآت التعليمية والمدارس في المناطق المحررة، وعدم وجود منظمات تعنى بهم، فالطفل جزء من الواقع الذي يعيشه ولا بدّ أن يتأثر به.

تقول المدرّسة لمادة الإرشاد النفسي أ. خزامى في حديثها لـ "جسر" :

يعرّف العلماء وصندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونيسيف، 1997 : 1) الأطفال المجندين (المسلحين) بأنهم "كل من هو دون الثامنة عشر من العمر، وجزء من فريق يقوم بأعمال قتالية منتظمة، سواء كانوا مقاتلين أو طباخين أو مراسلين أو من يرافقون المجموعات لأي سبب كان، وهو لا يشير إلى الطفل الذي يحمل السلاح حصراً ".

يعاني الراشد في مثل هذه الحالات من صراع الإقدام/ الإحجام المترافق بالقلق والضغط النفسي الناتج عن هذا الصراع بين انتمائه للمجموعة الحاملة للسلاح وبين رفضه إلحاق الأذى بالآخرين المقربين، فكيف بالطفل الذي لا يدرك معنى الصواب والخطأ، وليس لديه القدرة على تحديد ماهية ما يجري وإصدار الحكم الأخلاقي الصحيح، إذ تصبح هذه الضغوط النفسية مضاعفة، وتخلق لديه تشوهاً فتتشكل هويته الذاتية التي تتكون في هذه المرحلة الحرجة والخطرة من مراحل تكون مفهومه عن ذاته، هل هو فرد من مجتمعه أم مضاد لمجتمعه؟ وتكمن الخطورة الأكبر في حال ترسخّت لديه مفاهيم القوة المرتبطة بالعنف واستخدام السلاح، لتصبح جزءاً من هويته ومفهومه عن ذاته المرتبط بهما في مراحل حياته اللاحقة.

المال في خدمة الهيكل

سلسلة يكتبها عضو مجلس الشعب المنشق عماد غليون

استولى حافظ الأسد على السلطة، واستند على القوة العسكرية والأمنية لتثبيت دعائم السلطة، وبالتوازي مع ذلك ومن أجل إضفاء شرعية شعبية على حكمه، طرح الأسد نفسه كرئيس من أحد أبناء الشعب العاديين، وكان من أول الشعارات التي تم إطلاقها وصف الأسد بأنه «ابن الشعب البار» حيث قدم النظام بعض المكاسب للطبقات الفقيرة، مثل زيادة مبلغ التعويض العائلي، وتم توفير الكثير من فرص العمل في الشركات والمؤسسات والدوائر الحكومية، واستفاد من ذلك أبناء الريف، وخاصة الريف الساحلي العلوي الذين أصبحوا يسكنون في مناطق سكنية خاصة بهم، تشبه الكانتونات المغلقة، أقيمت بشكل رئيسي على أراض زراعية أو أراض تابعة للدولة وتحيط بالمدن الكبيرة، خاصة دمشق وحمص، وظهر لها تأثير كبير وخطيرفي مساندة ودعم النظام خلال الثورة السورية.

وإذا كانت الاشتراكية من أهم شعارات حزب البعث، وبنيته الفكرية والايديولوجية تقوم عليها بشكل أساسي، إلا أنها بقيت غائبة عن التطبيق الفعلي، ولجأ النظام لتقديم بعض أشكال الدعم للطبقات الفقيرة بغية الاستمرار في كسب ولاءها، وذلك عبر دعم المحروقات وبعض السلع الأساسية.

ورغم أن الطبقة الوسطى شهدت بعض الانتعاش بفعل تدفق المساعدات بشكل كبير على البلاد بعد حرب تشرين، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، وبدأ الوضع الاقتصادي في البلاد بالتراجع باستمرار، نتيجة تأثير العزلة السياسية والعقوبات الاقتصادية الغربية على النظام، وتصنيفه كأحد دول محور الشر الداعمة للإرهاب.

بدأ دور البرجوازية التقليدية يظهر بقوة من جديد، بعد أحداث الثمانينات، بفعل دعم النظام لها كونها ساهمت بشكل كبير في بقاء النظام، عبر وقوفها إلى جانبه بقوة مما جعل النظام يفتح أمامها الباب للتمدد والعمل من جديد، مستفيدة من تراخي النظام معها، وإجراءات الانفتاح الاقتصادي التي جاءت لكسر حالة الركود الاقتصادي الخانق في البلاد، وبعد إحكام النظام سيطرته على البلاد، وانتهاء موجة الاحتجاجات، بدأ يظهر العديد من رجال الجيش والأمن في حقل النشاط الاقتصادي، مستفيدين من مركز قوتهم الجديد في الحصول على المال والاستثناءات والتراخيص والتهريب عبر الحدود بمختلف أشكاله، وأصبح رأس المال الخاص يلعب دوراً كبيراً يضاهي دور الدولة، رغم أن القوانين لم تكن تسمح بذلك، وكانت تظهر باستمرار عقدة الاستثمار الخاص في بلاد تتبنى الاقتصاد الاشتراكي، وتفرض عقوبات على مناهضي الاشتراكية، ولو كان ذلك بالرأي فقط، وبدأت تظهر أسماء جديدة من الأثرياء في البلاد معظمها من العسكرتاريا والأمن والمستفيدين الجدد من النظام والعائلات البرجوازية التقليدية، وانضم إليهم أفراد من عائلة الأسد فيما بعد، وخاصة بعد استلام بشار الأسد للسلطة.

أصبحت مصالح طبقة الأثرياء مترابطة مع بعضها البعض ومرتبطة عضوياً مع النظام، ولا يمكن التمييز بينها بسهولة، حيث أن النظام يضمن مصالح هذه الطبقة، ويسهل لها أعمالها واستثماراتها في البلاد، مقابل دعمها ووقوفها إلى جانبه، وهي لا تستطيع أن تكون ضد النظام، لأنها كانت تقوم بنشاطات غير قانونية فيما يغطي النظام عليها، ويستطيع محاسبتها قانونياً، وتحويلها للإفلاس، وقد لجأ النظام لمثل هذه الأساليب مع بعض المعارضين، ومنهم رياض سيف.

ومع ازدياد الفجوة بين الأغنياء والفقراء في البلاد، والارتفاع المستمر في نسبة الفقر، فإن الثورة السورية كانت مؤهلة لتنطلق كثورة اجتماعية لو لم تنطلق بالشكل الذي انطلقت فيه من درعا. من غير المستغرب وقوف طبقة الأثرياء التقليدية ورجال الأعمال الجدد وأثرياء العائلة إلى جانب النظام، وقد ساهموا بشكل كبير في صمود النظام اقتصادياً أمام الضغوط التي تعرض لها جراء العقوبات وانحسار النشاط الاقتصادي بفعل الثورة، وكان لهم دور هام في الحفاظ باستمرار على سعر صرف الليرة أمام العملات الصعبة، كما قدموا مختلف أنواع الدعم اللوجيستي، وقاموا بتجهيز فرق الشبيحة واللجان الشعبية ثم جيش الدفاع الوطني فيما بعد.

كان خيار رجال مال النظام بانحيازهم إليه يعني عداءاً مباشراً للثائرين عليه، ويتحملون مسؤولية أخلاقية وجنائية عن الأعمال التي يقوم بها الأمن والشبيحة من قتل وتدمير وتهجير واغتصاب، ولا يمكن إعفاءهم من ذلك.

كان لرجال المال والأعمال والأثرياء الداعمين للنظام دوراً هاماً على الدوام في صناعة القرار الاقتصادي، بشكل يتناسب مع مصالحهم الخاصة، ومصالح شركائهم في النظام. وبرزت أسماء اقتصادية هامة مثل الشلاح وحمشو وأنبوبا والأخرس وكزبري ونزار الأسعد ووجوه أخرى من العائلة الحاكمة كرياض شاليش وأخيه ذو الهمة وأولاد عائلة الأسد الآخرين، ولعل أشهر الأسماء كان رامي مخلوف الذي بنى امبراطورية مالية، سيطر من خلالها على أهم الفعاليات الاقتصادية في البلاد أبرزها قطاع الاتصالات الخليوية.

وعندما اندلعت الثورة كان المتظاهرون ينددون بالفساد المستشري وبالأغنياء من شركاء النظام الذين يسيطرون على معظم مقدرات البلاد، ومن أجل امتصاص نقمة الناس ضد رامي مخلوف، اضطر وبشكل غريب للظهور في مؤتمر صحافي خاص، ليعلن فيه توقفه عن ممارسة الأعمال والنشاطات التجارية لغاية الربح، وأنه سيوجه عائداتها لصالح مشاريع خيرية للناس، وفي هذا اعتراف صريح ومباشر بالدور الاقتصادي السابق المخالف للقانون الذي كان يمارسه مخلوف واستيلائه على المال العام بشكل غير مشروع.

بكل الأحوال كشفت الثورة السورية مدى الدورالذي يمكن أن يلعبه المال في خدمة الاستبداد وحراسة هياكل الأنظمة القمعية، طالما أن هذه الأموال لم يتم استثمارها وكسبها بشكل قانوني بل عبر طرق غير شرعية باستغلال موارد وإمكانيات الدولة لصالح فئة حاكمة صغيرة وحفنة من أعوانها فقط، مما يعزز الحاجة مستقبلاً لفصل الاقتصاد عن السياسة بشكل تام.

يسمحون بعبور «التبغ» ويعرقلون مرور اللاجئين والمساعدات

حكومة العراق تغلق بوابة البوكمال الحدودية مما يزيد معاناة الأهالي

غيث الأحمد

«أهلنا وإخوتنا على الجانب المقابل، ولا يجدون إلينا سبيلاً» قالها أبو علي من سكان مدينة البوكمال معرباً عن أسفه لقيام الحكومة العراقية بإغلاق بوابة البوكمال الحدودية في وجه السوريين الفارّين من القصف، وإغلاقها أيضاً أمام المساعدات القادمة إليهم من أهل العراق.

تجار وخبراء أكدوا لـ «جسر» أن فتح تلك البوابة سيسهم في وصول المساعدات، وسيخفض أسعار السلع في دير الزور بشكل لافت، كون التجار باتوا يلجؤون إلى الاستيراد من تركيا وغيرها مما ضاعف أسعار السلع، في وقت كان فيه التبادل التجاري بين سورية والعراق في أوج ازدهاره، عندما كانت تلك البوابة تعمل بشكل طبيعي.

حواجز «كونكريتيه» للفصل

ورغم صلات القربى التي تجمع أهالي مدينة البوكمال بسكان مدينة القائم ومحافظة الأنبار العراقية، فإن الحكومة العراقية تمنع أهالي تلك المدن من تقديم المساعدات، رغم رغبتهم الشديدة بذلك، بحسب أبو علي.

ويقول أبو علي إن «الحكومة العراقية تمنع فتح البوابة كما وضعت حواجز (كونكريتية) لمنع دخول النازحين جراء القصف» معتبراً أن إغلاقها جريمة كبرى بحق محافظة دير الزور وريفها، لأن تلك المنطقة بأشد الحاجة لفتح الطريق أمام القوافل التجارية لسد النقص الحاصل في جميع المواد الأولية والمواد الغذائية والأدوية، وخاصة بعد انتشار الأمراض المزمنة في الأرياف كاللشمانيا والتهاب الكبد.

ويؤكد أبو علي أنه كانت توجد حركة تجارية نشطة عندما كان المعبر مفتوحاً، حيث كان الفلاحون يتبادلون الفائض الموجود لدى الطرفين، وبأسعار رخيصة.

مزايا فتح المعبر

ويعتبر عبد المحسن الأحمد وهو أحد تجار مدينة البوكمال أن فتح بوابة البوكمال سيؤدي إلى انتعاش اقتصادي كبير في دير الزور بأكملها، من خلال التبادل التجاري، وتوجه جميع التجار إلى الاستيراد عن طريق العراق، وذلك بسبب القرب الجغرافي، وبالتالي يتم توفير أجور كثيرة تترتب على التاجر تضاف إلى قيمة البضاعة، كما أن ذلك سيزيد فرص عمل الشباب.

ويؤكد الأحمد أنه عندما كانت البوابة مفتوحة لمرور القوافل التجارية، شهدت دير الزور وفرة في جميع أنواع المواد الغذائية والصناعية وبأسعار رخيصة وزهيدة.

حكومة العراق لا تستجيب

وكشف الدكتور مؤيد الحمود عضو المكتب الإعلامي في المجلس المحلي لمدينة البوكمال لـ «جسر» عن محاولات عديدة من قبل المجلس للتفاوض مع الطرف العراقي لإدخال المعونات الغذائية والطحين والأدوية، ولكن دون جدوى حتى الآن.

وينقل الحمود عن الضباط العراقيين المتواجدين على المعبر أن إغلاق البوابة يأتي بأمر من الحكومة العراقية، مضيفاً أن البوابة مغلقة منذ زمن طويل أمام جميع التبادلات التجارية، باستثناء نزوح المدنيين إلى الطرف العراقي أثناء اشتداد القصف على مدينة البوكمال، حيث كان يدخل عبر المعبر كل يوم مئة شخص، وهم من النساء والأطفال والشيوخ فقط.

وأكد الحمود أن الحكومة العراقية أوقفت دخول أكثر من شحنة طحين ومساعدات غذائية كانت قادمة لإغاثة المنكوبين في مدينة البوكمال منذ سيطرة عناصر الجيش الحر على المدينة، وبنفس الوقت يغض حرس الحدود النظر عن عمليات تهريب شحنات كبيرة من التبغ إلى الداخل السوري.

أهمية البوابة

والتقت «جسر» الخبير الاقتصادي نادر العبد الله الذي قال إن «المعبر الذي يفصل مدينة القائم العراقية (٣٤٠ كلم غرب بغداد)، عن البوكمال السورية، يعد معبراً حيوياً بالنسبة لسورية، والتي تحتاجه أكثر من العراق، كما يعتبر أحد أهم الطرق التجارية في الشرق الأوسط والموقع الحدودي الرئيسي على طريق بغداد – دمشق السريع، وكانت غرفة التجارة والصناعة بدير الزور طالبت أكثر مرة منذ عام ٢٠١٠ بفتح تلك البوابة أمام حركة نقل البضائع، وكذلك لإيجاد حل سريع لنقص مادة المازوت في محافظة دير الزور، لكن بعد سيطرة عناصر الجيش الحر على المعبر تبين أن الحكومة العراقية هي من تقوم بإغلاق ذلك المعبر الحيوي أمام التجار».

وأشار العبدالله أن استيراد المواد الغذائية والمستلزمات الطبية والأدوية من تركيا وغيرها يزيد من تكاليف شحن المواد وتحميلها وتخزينها، مع الأخذ بعين الاعتبار خطورة الطريق ووجود العصابات المسلحة وقطاع الطرق التي تكاثرت في الفترة الأخيرة، وانتحلت صفة الجيش الحر، حيث أن إمكانية وصول هذه المواد يخضع لحسابات دقيقة، ويحتاج لحراسة على الطريق، وهذا كله يضاف للتكلفة.

اقتصاد بديل

ولفت العبد الله إلى أن فتح البوابة لايوفر وظائف للناس بقدر مايوفر لهم المواد الأساسية اللازمة لحياتهم اليومية، وسيكون هناك أعمال مرافقة لهذه التجارة بحدود ضيقة، حيث أن القدرة الشرائية لمجموع السكان تبقى في حدودها الدنيا نتيجة للأوضاع،مؤكداً أن منطقة البوكمال وريفها هي منطقة زراعية بالدرجة الأولى، وإذا ماقام أهل المنطقة بالزراعة وحني محاصيلهم فهذا حتماً سيؤدي إلى انتعاش اقتصادي نسبي، خصوصاً إذا سمح لهم بتصدير إنتاجهم عبر الحدود العراقية، وإذا استمر الحال طويلاً على ماهو عليه، فسينشأ اقتصاد محلي بديل يقوم محل الاقتصاد القومي وتنشأ له آلياته الخاصة.

عن بوابة البوكمال

تعد بوابة البوكمال الحدودية مع مدينة القائم الشعراقية، أحد البوابات والمعابر الرئيسة الثلاث بين العراق وسورية، إلى جانب معبري "اليعربية والتنف" حيث تشترك سورية مع العراق بحدود تمتد بطول ٦٠٠ كلم، ويسعى تجار مدينة البوكمال ومجلسها المحلي إلى فتح البوابة المغلقة من أكثر من سبع سنوات، وذلك من الجانب العراقي وليس من الجانب السوري، بحسب ما كانت تذكره المديرية العامة للجمارك بدمشق، لما فيه من أهمية اقتصادية كبيرة بالنسبة للتجار، و ينعكس بالتالي على الحياة المدنية في محافظة دير الزور وريفها.

٢٥ مليون ليرة وارداته اليومية

معبر سي مالكا/ فش خابور ضرائبه تطال الأفراد و السلع ولا تُراعى فيه معاناة الأهالي

فلك كلو/ الحسكة

«كان المأمول من معبر (سي مالكا/ فش خابور) أن يُستغل لأغراض إنسانية في ظل التضييق الاقتصادي الذي يمارسه النظام بحق السوريين، ولكن للأسف أصبح معبراً تجارياً بحتاً» بهذه الكلمات عبر أبو سيبان، أحد القائمين على إدارة المعبر، عن أسفه للحال التي وصل إليها ذلك المعبر، الواقع شمال شرق سورية، بين منطقتي المالكية/ديريك، وكردستان العراق.

افتتح معبر سي مالكا/ فش خابور في شهر شباط الماضي بعد اتفاقات بين الهيئة الكردية العليا في سورية ورئاسة كردستان العراق، بحسب أبو سيبان، ومنذ ذلك الحين والضرائب تفرض على الأفراد وكافة أنواع السلع بما فيها الطيور.

نصيب الأسد لل «PYD»

وبعد تحوّل المعبر إلى نقطة تجارية تفرض فيها الضرائب على السلع كافة، ذكر مصدر مطلع لـ «جسر» رفض الكشف عن اسمه أنه «تصل واردات معبر سي مالكا/ فش خابور المالية بعد فرض الضرائب على المواد التجارية ورسوم الخروج على الأفراد من سورية، إلى خمسة وعشرين مليون ليرة سورية يومياً».

وعن جهة صرف هذه المبالغ، يوضح المصدر أنه يتم تقاسمها بين مجلس «غرب كردستان(PYD)» والمجلس الوطني الكردي مناصفة، أي ٥٠ ٪ للجنة التخصصية و٢٥٪ للجنة الأمنية ومثلها للجنة الخدمية والطبية، إلا أن المصدر يلفت إلى أن التقسيم يُعتبر «تقسيماً نظرياً»، حيث أن حزب الـ «PYD» يحصل على نصيب الأسد.

واشتكى رئيس المجلس المحلي في مدينة المالكية/ ديريك من «حالة الشلل» التي تعتري اللجان المشكّلة القائمة عل المعبر، إذ أنه لا يستطيع كرئيس مجلس محلي أن يعين أي فرد في المعبر نتيجة «استئثار» «PYD» بمثل هذه القرارات، وغيرها من التفاصيل.

مقارنات

وأبدى التاجر عمر، من أبناء مدينة عامودا، في حديثه لـ «جسر»، استياءه من أداء القائمين على إدارة المعبر مشيراً إلى استغلال كبير تقوم به اللجان المشرفة، بفرض الضرائب حتى على الطيور، مقارناً هذا المعبر بمعبر آخر في مدينة تل أبيض، شمالاً، التابعة لمحافظة الرقة، والذي يخضع لسيطرة الجيش الحر فيقول «لا تفرض هناك أية ضرائب أو رسوم على المواد الداخلة إلى سورية عن طريق معبر تل أبيض، ولا عراقيل تعترضنا أثناء الدخول أو الخروج».

وفي اتصال هاتفي لـ «جسر» مع أحد إداريي معبر رأس العين/سري كانيه المحرر ويدعى فايز، أكد أن هناك قرارات واضحة أصدرها الجيش الحر بمنع أخذ أية رسوم على المواد أو الأفراد، باستثناء السلع التي لا تراعي شروط السلامة الصحية، أو تلك التي لا تتفق مع المواثيق والقوانين الدولية كالأسلحة مثلاً».

نقاط عبور «غير شرعية»

وفي خطوة وصفها مسؤولون (رفضوا ذكر أسمائهم) أنها «انتهاك صارخ للاتفاقيات بين المجلسين الكرديَّيْن»، لجأ حزب «PYD» مؤخراً إلى إغلاق معبر سي مالكا/ فش خابور، في وجه الأفراد، وتفعيل نقاط عبور أخرى غير شرعية خاضعة لسيطرة قواته فقط، منها نقاط (شرّك،كربالات) حيث تفرض هذه القوات، مبلغ ألف ليرة سورية عن كل فرد يعبر باتجاه العراق.

وكان رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) صالح مسلم قد أوضح في وقت سابق لوسائل إعلام كردية في معرض رده عن آلية صرف المبالغ الطائلة التي يجنيها حزبه من هذه المعابر قائلاً «هناك آلاف المقاتلين في وحدات الحماية الشعبية (وهي الجناح العسكري للحزب) بحاجة للعتاد والتمويل، بالإضافة للمؤسسات واللجان الشعبية التي نقوم بدعمها من وارادات المعبر، لتقوم بمهامها على أكمل وجه في المناطق ذات الغالبية الكردية، شمال شرق سورية».

يذكر أن العاملين في المعبر يعملون بشكل تطوعي، فلا يتقاضون أية أجور لقاء أتعابهم، باستثناء مكافأة مالية باتوا يحصلون عليها مؤخراً تبلغ قيمتها خمسة عشر ألف ليرة لكل عامل بمن فيهم التابعين لحزب «PYD».

المستضعفون أيها الثّوار!

كما هي العادة دائماً، يدفع المستضعفون الضريبة الأكبر لأي كارثة، فكيانهم الهش، وحالهم الرقيق، يتداعى للنسمة العابرة، فما بالك بعاصفة عاتية هوجاء، كالتي تعصف بالمجتمع السوري منذ سنتين متمثلة بالحرب الشاملة التي يشنها النظام وشبيحته على الشعب السوري، تحت شعار «الأسد أو نحرق البلد»؟.

وأحد ميادين العمل الثوري الذي يهمله الثوار اليوم، مقدمين عليه أولويات أخرى مثل القتال، هو دعم هؤلاء المستضعفين، المنكوبين، المظلومين مرات ومرات، فحيث انتصر الثوار وأقاموا كياناتهم الثورية، التي تمسك بالنصيب الأوفر من السلطة والموارد، تقبع وتتسع فئة من المستضعفين أو الفئات الهشة، لكننا لا نرى أي اهتمام جدي بها، ولربما يعتقد البعض أن تلك المهمة يمكن تأجيلها، أو الاعتماد على المعونة الخارجية لإنجازها، لكن الحقيقة أن تلك المهمات لا يمكن تأجيلها، ولا يستطيع الخارج تلبية كل تلك الاحتياجات، ومن ناحية أخرى ثبت بالدليل القاطع أن تلك المعونة تزينية وليست جذرية، وهي من باب رفع العتب لا أكثر، وثبت أيضا أن ماحك جلدك مثل ظفرك.

إن ثوار الأرض، الذين خرجوا على الظلم والقهر، مستضعفي الأمس، الذين انتصروا وحرروا مساحات شاسعة من البلاد، وامتلكوا فيها السلطة وبعض الموارد، لابد أن يلتفتوا إلى حال من لازالوا مستضعفين، أو أصبحوا ضعفاء خلال الثورة، وبسببها.

على الثوار أن لا ينسوا اليتامى أبناء إخوتهم الذين قدموا أرواحهم فداء للوطن وحريته، فلو أتيح لأي شهيد أن يتكلم اليوم لما قال سوى: أوصيكم بأبنائي. بل أن أخلاق ومبادىء الثائر الحقيقي، يجب أن تملي عليهم ألا يستثنوا من عطفهم ورعايتهم أي يتيم، بما فيهم الأطفال اليتامى ممن سقط آباؤهم وهم يقاتلون في صف النظام.

على الثوار أن لا ينسوا مئات الألوف ممن أصيبوا بإعاقة أثناء عملهم من أجل الثورة، أو لدى الاعتقال والتعذيب، أو نتيجة القصف والتدمير العشوائي، فهؤلاء هم أكثر المتضررين نفسياً وجسدياً من الوضع الحالي، وربما إلى زمن طويل.

على الثوار أن ينظروا بمنتهى العطف والجدية، إلى حالة الأمهات اللواتي فقدن أزواجهن أو أبنائهن، وصرن معيلات لأطفال وأسر كاملة، في وقت لا يمتلكن فيه أية خبرة أو مهنة أو مال يمكن أن ينشئن من خلاله عملاً ما.

على الثوار ألا يغفلوا كبار السن، الذين تخلى كواهلهم أعمارهم الكبيرة، وأمراض الشيخوخة المزمنة والخطيرة، في ظل ظروف الفقر والفاقة، خاصة لمن فقد أبناءه.

على الثوار أن لا يتعاموا عن جيش المشردين الذين فقدوا منازلهم وأعمالهم وما عاد لهم سقف يأويهم، ولا عن الأطفال الذين افترقوا عن ذويهم، وما عادوا يعرفون عنهم شيئاً.

رغم صعوبة المهمة، وضعف الإمكانيات، علينا جميعاً، سواء كنا ثواراً مسلحين، أو نشطاء سياسيين أو مدنيين أو إعلاميين، أن نجد الحلول المبدعة البسيطة، التي تجزئ هذا الكم من المهام المطلوبة إلى أعمال صغيرة ممكنة التنفيذ، وهي قد تبدأ من مواساة ومجالسة شخص متأذي وإشعاره بأن ألمه ألمنا، وتمر بتقديم المساعدة البدنية لشخص عاجز، وقد تنتهي بتقديم مشاريع صغيرة منتجة للأكثر فقراً واحتياجاً.

إن تعظيم بعض المهمات نظرياً وتضخيمها قد يحبط المبادرين، وفي الظروف السورية الراهنة، ليس بمقدور أحد أن ينجز مهمة عامة بشكل كامل، حتى لو امتلك الموارد، وعليه فليس أمامنا من خيار سوى تجزئة المهمات إلى الحدود الدنيا، والعمل على التفاصيل الصغيرة.

ليس من الخطأ أو العبث فيما لو اتفق مجموعة من النشطاء والناشطات للقيام بزيارات دورية لذوي الشهداء، تحت أي مسمى كان، جمعية رعاية، فريق دعم اجتماعي، ربما لن يدرك قيمة هذا الفعل الصغير ومردوده النفسي على ذوي الشهيد، سوى من فعله ذات يوم.

ليس من المعيب أن يشترك مجموعة من الرفاق من أجل تأمين كراسي متحركة للمعاقين الذين يعدون بعشرات الآلاف، ربما لن يدركوا قيمة ما يفعلونه، حتى يشاهدوا شاباً معاقاً يذهب إلى الحمام زحفاً على بطنه، لعدم توفر ذلك الكرسي.

ليس بأمر قليل القيمة فيما لو اشتغل فريق من المقيمين في الخارج، وكرسوا أنفسهم لجمع أدوية أمراض الشيخوخة وأرسلوها إلى الداخل، فبعض أولئك المسنين قد لا يجدون من يجلب له الدواء حتى لو توفر لديهم ثمنه.

ليس من الترف أو قلة العقل، لو يجمع القادرون منا كتب الأطفال والقصص المصورة ويوزعها على الأطفال النازحين والمشردين والقابعين في عتمات الملاجئ والمخابئ حيث تسود أصوات القصف وأخبار القتل والموت، لنتذكر طفولتنا، ولنتخيل أي فرح نستطيع أن نصنعه لهم.

ونتوالى قائمة الممكنات، التي نستطيع عملها لأنفسنا ولوطننا، فيما لو توفرت لدينا القناعة بأن الفعل التاريخي هو تراكم لأعمال صغيرة، تقودها روح المبادرة الفردية أساساً.

ليست كل الثورة قتال واشتباكات، ليست كلها مشاريع سياسية كبرى، ليست كلها ظهور على شاشات الفضائيات، وليست جميعها خطط استراتيجية ومؤتمرات بعناوين طنانة، وليست كل الثورة اجتماعات مع ممثلي الدول الكبرى والصغرى وطلب عونها(...) الثورة الحقيقية هي التي تبني أول لبنات الوطن، أي المواطنة، تلك الوشيجة التي تربطنا ببعضنا البعض، وتجعلنا نشعر بألم بعضنا البعض، ونسمع أصوات بعضنا البعض، خاصة تلك الأصوات الخافتة، أصوات أنين أهلنا الضعفاء.

تل أبيض بلا كهرباء حتى تحرير مقر الفرقة ١٧ في الرقة

المجلس المحلي: إمكانيّاتنا محدودة ولا تتعدى القيام بإصلاح الأعطال

محمود الدرويش/ تل أبيض

بعد تحرير الرقة وبقاء بعض المراكز خاضعة لسيطرة النظام، كثرت الاشتباكات حولها في الآونة الأخيرة، وخاصة مقر الفرقة ١٧ الواقع بقربه خط التوتر العالي الذي يغذي مدينة تل أبيض بالكهرباء، حيث أدّت الأعمال القتالية إلى انقطاع خط التوتر، ولم يعد لدى أحد الجرأة لإصلاحه، ومنذ منتصف آذار الفائت وحتى أواخر نيسان، زادت معدلات انقطاع التيار الكهربائي هناك، حيث مرت أسابيع عاشتها المدينة بلا كهرباء، وإن جاءت فإن ذلك لا يتجاوز مدة الساعتين يومياً.

أبناء المدينة بدؤوا بالاعتماد على مولدات الكهرباء لإنجاز أعمالهم، في ظل محدودية دور المجلس المحلي الذي اقتصر عمله على إصلاح الشبكة الداخلية، وإيجاد بعض الحلول لضخ المياه بتوفير مولدات كهرباء لها.

صعوبة الحال

«والله الكهربا ما عم نشوفا» هكذا بدأ جاسم الجمعة (٣٨ عاماً) حديثه لـ «جسر» عن الصعوبات التي تواجهه، إذ أنه يعمل خياطاً، وعمله يتوقف على الكهرباء، مما زاد في معاناته.

يقول الجمعة «قبل تحرير تل أبيض كانت الكهرباء لا تنقطع عنها إلا نادراً، وفي حالات التقنين تقطع لثلاث ساعات فقط، أما بعد التحرير، فلا نعرف ما الذي حصل».

لم يتقدم الجمعة بشكوى إلى المجلس المحلي فهو يعتقد أنه «بهالأيام محدا بيرد عحدا»، وأن موضوع الكهرباء أكبر من قدرة المجلس المحلي، كونها تحتاج إلى تجهيزات ضخمة، وهو غير قادر على توفيرها.

ولجأ الجمعة إلى الحل الذي اتبعه غالبية من تحتاج أعمالهم إلى الكهرباء بشكل متواصل، وهو شراء مولدة، وبلغت قيمة المولدة التي اشتراها مئتي ألف ليرة، وبات يعتمد عليها رغم تكلفة الديزل العالية، إلا أنه لا يوجد أمامه خيار آخر، كما يقول.

الانقطاع خلّف أمراضاً

ولا يقتصر تأثير انقطاع التيار الكهربائي على أمور الإنارة والأعمال، فالأمر يتعلق بوصول المياه إلى الأهالي، حيث أنها تصلهم عن طريق الآبار المزودة بمولّدات تعمل على الكهرباء.

يقول أحد الأطباء في مدينة تل أبيض إنه «بسبب انقطاع الكهرباء، باتت المياه لا تصل للأهالي إلا ما ندر، مما اضطرهم إلى استخدام المياه السطحية غير الصحية، حيث يقومون بحفر بئر لا يتجاوز عمقه مترين داخل المنزل وتخرج منه المياه، مما يتسبب بأمراض جلدية عديدة، وأمراض أخرى كالتهاب الكبد (A) الذي ينتقل عن طريق الغذاء والماء الملوث».

المشكلة عند الفرقة ١٧

والتقت «جسر» رئيس مكتب الخدمات في المجلس المحلي بمدينة تل أبيض ثامر الطحري للحديث حول واقع الكهرباء في المدينة.

يقول الطحري «قبل تحرير مدينة تل أبيض كانت الكهرباء تنقطع عند التقنين لساعتين أو ثلاثة، وبعد التحرير بات وضعها أفضل، فلم تعد تنقطع، ولكن الآن بتحرير الرقة وبوجود عقدة التوتر فوق مقر الفرقة ١٧، التي لا تزال تحت سيطرة نظام الأسد، بات من الصعب الحصول على الكهرباء من هناك، نظراً للاشتباكات الدائرة بشكل مستمر، وقد شاهدت الأسلاك متقطعة في تلك المنطقة».

وعن مصدر الكهرباء الذي يغذي مدينة تل أبيض حالياً أوضح الطحري أنها تتغذى من محطة المبروكات الواقعة في محافظة الحسكة التي تتغذى بدورها من سد تشرين في مدينة منبج بمحافظة حلب، ولكن الكمية التي خصصت لتل أبيض يومياً تبلغ ٨ ميغا واط مما يجعها تصل لمدة ساعتين مقابل ثماني ساعات انقطاع، ويبلغ عدد الخطوط في المدينة ١١ خط، ومن الواجب توزيع الكمية الواصلة بالتساوي.

ضعف الإمكانيات

ويقتصر دور المجلس المحلي بمدينة تل أبيض، حسب الطحري، على التواصل مع محطة المبروكات وسد تشرين في حال حدوث عطل، كما يسيّر ورشات تقوم بإصلاح الأعطال داخل المدينة بشكل مستمر، وأشار الطحري إلى ضعف إمكانيات المجلس في تأمين المعدات اللازمة لإصلاح بعض الأعطال عند حدوثها، كـ (المحولات، كابلات الألمنيوم، القواطع) فجميعها غير متوفرة وباهظة الثمن في تركيا.

معالجة بعض الشكاوى

شكاوى عديدة بخصوص الكهرباء والماء وصلت إلى المجلس المحلي، وحول تعامله معها يقول الطحري «في حال كانت الشكوى تتعلق بالشبكة الداخلية للمدينة أو خطوط التوتر المتوسط، نقوم بتسيير ورشات بالسرعة القصوى لإصلاح الأعطال، أما عندما تكون الأعطال في خطوط التوتر العالي، فإننا نطلب ورشات بتجهيزات أكبر من المحافظات كالرقة لتصليح العطل، وكانوا يقومون بالإصلاحات قبل تحرير المدينة، ولكن الآن خط التوتر العالي مقطوع فوق الفرقة ١٧، ولا أحد يستطيع إصلاحه».

حلول جزئية للمياه

وقام المجلس المحلي بتركيب مولدات احتياطية في بعض مناطق تل أبيض، لحل مشكلة المياه، وسيقوم بتركيب مولدات أخرى في المناطق المتبقية لتأمين المياه بشكل مستمر، مع تعهد بعض المنظمات الداعمة بتأمين الكلور لتعقيم المياه، بحسب الطحري.

وفي ظل نقص الإمكانيات والكميات القليلة التي تصل إلى تل أبيض من الكهرباء، يبقى الأمل الوحيد لإعادة حصولها عليها بشكل منظم، هو تحرير مقر الفرقة ١٧ في الرقة، التي باتت تحرم أهالي المدينة من النور.

عائلات علوية تغادر منازلها في دمشق وريفها نحو الساحل ومناطق تكتل الطائفة

امرأة: ماذا سيفعلون بنا إن سقط النظام؟ كل ما نقرأه على تنسيقياتهم تهديد ووعيد

سمر مهنا

تترك العشرات من العائلات العلوية المقيمة في دمشق وريفها منازلها لتعيش في مناطق تكتّل الطائفة كي «تشعر بالأمان» منذ أن اندلعت الثورة السورية، فمنها من رحل إلى مناطق السكن العشوائي كالمزة٨٦ وعش الورور وغيرها، ومنهم من قرر الذهاب أبعد من ذلك إلى الساحل السوري، بعد حدوث العديد من الاغتيالات التي طالت أبناء الطائفة تحت العديد من «التهم» أبرزها «تهمة العواينية»، مما بدأ يثير مخاوف لدى بعض المعارضين العلويين من تعزيز فكرة «تقسيم سورية» و «إقامة الدول العلوية» مستقبلاً.

أسباب المغادرة

رنا (٢٤ عاماً) انتقلت مع عائلتها التي كانت تقطن في جديدة عرطوز بريف دمشق إلى منطقة مزة ٨٦ بدمشق، رغم حالتهم المادية المتواضعة، والتي لا تسمح لهم بدفع الإيجار إلا بصعوبة.

تقول رنا «(رحنا بخطية غيرنا)، فبعد المجزرة التي ارتكبها النظام في جديدة والتي راح ضحيتها نحو ٥٠ شاباً، أصبح السكن فيها بالنسبة للعائلات العلوية أمراً خطراً مثلما هو في مناطق أخرى في دمشق وريفها».

إلا أن ذلك لم يكن السبب الوحيد لتغيير مقر إقامتهم، فتشير رنا إلى انتشار ظاهرة القتل الإفرادي لأبناء طائفتهم بشكل لافت ما أثار مخاوفهم.

وهذه الأمر أكدته أم فراس، التي تقطن منطقة جديدة عرطوز أيضاً، فتقول «شهدت مقتل اثنين مما يسمونهم العواينية بأم عيني من قبل الجيش الحر، أحدهم من الطائفة العلوية، وذلك خلال الصيف أي قبل دخول الجيش النظامي بأشهر، وكل فترة أسمع عن مقتل ضابط أو عوايني علوي في المنطقة، وهذا ما دفعني إلى السفر لمحافظة اللاذقية كونها أكثر أماناً، أخشى أن يصل الدور لعائلتي».

خطف وتهديد

أم بسام التي تقطن في منطقة عش الورور تبين أنها قررت الرحيل إلى محافظة طرطوس بعد خطف ابنها البكر مازن، فتقول «بعد أن زوجّته بشهرين خطفوه»، وتتابع «ابني كان يعمل سائق تكسي أوقفوه وأخذوه لكنهم لم يقتلوه، وعندما تكلموا معنا قالوا إنهم سيطلقون سراحه لأنه بريء، وفي كل مرة نتفق على موعد يتم تأجيله، وآخر مرة قالوا لنا أنه معهم في دوما، ونحن على هذا الوضع منذ أشهر».

تؤكد أم بسام أنه بمجرد عودة ابنها إليها ستسافر إلى طرطوس حيث أنها لن تشعر بالتهديد هناك، إذ أنها «ستكون بين أهلها».

حال أم بسام يشبه حال أم رائد التي خرجت من منطقة المعضمية في ريف دمشق إلى قرية قريبة من مدينة جبلة، فتقول «سكنت بينهم ٢٠ عاماً وكنا أكثر من أهل» في إشارة إلى الطائفة السنية، وتضيف «في يوم من أيام الصيف عندما بدأ الجيش الحر يتشكل في منطقتنا، فوجئنا بضرب وقرع متواصل على باب منزلنا، وعندما فتحت الباب رأيت فوهات البواريد فبدأت بالصراخ، قالوا لي (يا أم بسام، نعرفكم منذ أعوام وهذه المرة نكتفي بإنذاركم بسبب ابنك بسام لكن في المرة القادمة سترون شيئاً آخر)».

«اتهم» عناصر الجيش الحر ابن أم رائد بأنه «عواينية» ويتعامل مع جيش النظام، إلا أنها تؤكد أنه لا يوجد صلة تربطهم به، هذا الأمر دفعها إلى ترك منزلها والعيش في منطقة يتجمع فيها أبناء الطائفة العلوية، وتشير إلى أنها في كل مرة تزور منزلها للاطمئنان عليه تلقى معاملة طيبة من جيرانها.

منهم من ينتظر

وتنتظر سامية (٣٠ عاماً) التي تسكن في مساكن برزة حلول فصل الصيف لتسافر مع والدتها التي تعمل كمدرّسة إلى اللاذقية، وسامية تعيش في دمشق منذ ولادتها وتبدي حزنها من قرار المغادرة قائلة «أحب الشام جداً، ولا أريد الذهاب لكننا نعيش بتوتر، نحنا هنا كالغرباء».

وتضيف «في كل مرة أقرأ على تنسيقية منطقتنا الشتائم على العلويين، وبأنهم لن يتركوا أحداً منّا، أشعر بالرعب ولا أستطيع النوم، وخاصة أنه لا يوجد لدي أخ شاب».

وهذا حال سماح (٢٥عاماً) أيضاً التي تبين أنها تفكر بالرحيل مع عائلتها إلى الساحل بسبب خوفها، فتتساءل «في حال سقط النظام ماذا سيفعلون بنا؟ نحنا لسنا مؤيدين لكن الصالح يذهب مع الطالح في هذه الأيام».

ارتفاع الإيجارات

صاحب أحد مكاتب العقارات في منطقة الـ٨٦، يقول إن «أسعار الإيجارات في المنطقة ارتفعت إلى ٢٠ ألف وأكثر من ذلك، بسبب توافد أعداد كبيرة إلى المنطقة»، مشيراً إلى أن أغلب المنازل تؤجر مفروشة لعائلات علوية تركت منازلها في القابون وبرزة وجديدة عرطوز وغيرها، إلا أنه ما زال هناك عائلات سنية تسكن المنطقة أيضاً.

وحال هذه المناطق تشبه حالات الإيجارات في طرطوس، حيث يبين علي، الذي يقيم مع زوجته وابنه منذ شهرين في المحافظة بعد أن ترك منزله في

صحنايا، أن أسعار الإيجارات فيها أصبحت مرتفعة، بسبب عودة العلويين لمناطقهم، وأغلبهم من الضباط بالإضافة إلى النازحين القادمين من المحافظات الأخرى.

ضباط يبيعون برخص

عائلات علوية تركت منازلها فارغة منتظرة الحسم، لكن هناك من باعها برخص ليشتري منزلاً في الساحل، وهذا هي حال عائلة وفاء التي تقول «بعنا منزلنا في جديدة عرطوز بثلاثة ملايين فقط، وهو نصف المبلغ الذي يستحقه المنزل».

وتضيف وفاء «لقد كنا على عجل بعد اغتيال العديد من أصدقاء أبي في المنطقة على يد الجيش الحر، فلم نكن نريد سوى النجاة والسفر».

مخاوف

لم تشعر ندى (٢٧ عاماً) والتي تقيم في منطقة المزة بالارتياح لفكرة سفر العلويين إلى الساحل، واعتبرت أن ذلك ليس بأمر جيد بالنسبة لمستقبل سورية، وتؤكد أنها كانت مع الثورة منذ بدايتها، لكنها تبرر خوف البعض وسفرهم بسبب «الضغط» الذي يعيشونه.

تقول ندى «إذا فكر الجميع بالعودة ستصبح فكرة التقسيم أسهل، وهذا ما يريده النظام والعديد من الأطراف الخارجية، ولا يجب أن نقبل بذلك، إلا أن الوضع أصبح خطيراً والانتقامات لا تقاس بالعقل» تصمت لتضيف «أخشى من اندلاع حرب أهلية».

أما لينا لا تزال تصر مع عائلتها على عدم مغادرة منطقة إقامتهم، فبحسبها هم العائلة العلوية الوحيدة المتبقية في إحدى مناطق ريف دمشق، تقول «لو لم نثبت للمعارضة في منطقتنا أننا معارضون، لتمّ الانتقام منا منذ زمن بعيد، ونحن الآن نعيش كما يعيش باقي سكان المنطقة على وقع الاشتباكات التي تحدث من حين لآخر (...) ننتظر تحسن الأحوال ونأمل ذلك».

معارك القصير
هل بدأ النظام برسم دولته الطائفية؟

أنور عمران

لطالما صرّح الأسد بأنه سوف يفجّر المنطقة، وأن الحريق سوف يمتد إلى دول الجوار. وتبدو معركة القصير اليوم منعطفاً خطيراً في تاريخ الثورة السورية، فالأول مرة ومنذ بدء الثورة يدعو الشيخان اللبنانيان: أحمد الأسير وسالم الرفاعي إلى الجهاد في سورية، ردّاً على مشاركة حزب الله في المعارك. واللافت أن هذه الدعوة لاقت قبولاً لدى بعض الشباب اللبنانيين المتعاطفين مع الثورة السورية، وبذلك تكون دلالة هذه التطورات الأخيرة أن لبنان الذي يدعي الالتزام بسياسة النأي بالنفس، أصبح متورطاً بشماله وجنوبه بما يجري في سورية، وأن الحريق سوف يمتد إلى تركيبته الطائفية الهشة، والتي لا تحتاج إلا إلى عود ثقاب واحد.

يحاول النظام السوري في سعيه لإقامة الدويلة الطائفية، أن يفتح خطّ إمداد من جنوب لبنان إلى الساحل السوري، ولذلك قامت ميليشيا حزب الله بالتوغل في سهل البقاع اللبناني خلال الأشهر الماضية، حتى أطبقت السيطرة على الحدود السورية شمال شرق لبنان. لكن خط الإمداد هذا، ولكي يصل إلى جبال اللاذقية، لا بد له من أن يمرّ من ريف حمص الغربي، حيث تقف مدينة القصير عائقاً في وجه المخطط، وعليه فقد أرسلت قوات النظام الآلاف من عناصر الجيش والشبيحة، مدعومين بالطيران الحربي، كما أرسل حزب الله أيضاً الآلاف من مقاتليه. لكن ال

جيش السوري الحر أحبط حتى الآن معظم محاولات الاقتحام، وكبّد الخليفين خسائر فادحة، وماتزال المعارك في القصير تدور حتى اللحظة في محاولة من الطرفين للسيطرة على القرى الحدودية.

وبعد أكثر من أسبوع من الحملة التي تتعرض لها مدينة القصير، كان التصعيد الأعنف يوم ٢٠١٣/٤/٢٥ حيث استهدفت المدينة بسبع غارات جوية، أسفرتْ عن سقوط عدد كبير من الشهداء، كان بينهم الشاعر محمد وليد المصري (رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب في حمص)، الذي كان يعيش في مسقط رأسه القصير رافضاً الخروج منها، وآخر ما كتبه الشاعر على صفحته في موقع «فيسبوك» :

بلادي آهٍ يا أمي وصوتي ... عجوزُ البوحِ مقطوعُ التنادي

أغيثيني ، فقالتْ: يا حبيبي ... تمرّدْ واستعدْ ألقَ الجهادِ

حليبي يا «ضنا عُمري» صدوقٌ ... فأثلجْ روحَ أمكَ في البِعادِ

أما حمص المحاصرة فهي تتعرّض منذ مطلع آذار لتصعيد عسكري هائل، إذ يحاول النظام بآلته العسكرية وجموعه أن يحسم هناك، وذلك على جبهتين: الجبهة الشرقية من

كرم شمشم وصولاً إلى الخالدية، والجبهة الغربية من مركز المدينة باتجاه حي باب هود، وبعد أكثر من أربعين يوماً من محاولات الاقتحام، نجح النظام في السيطرة بالكامل على حي كرم شمشم، ووصلت قواته إلى الحديقة التي تقع خلف جامع النور، أما في باب هود، فقد نجح في السيطرة على كتلة سكنية من جهة شارع الخندق، كل ذلك تم خلال أربعين يوماً، وبعد استخدام كثيف لكافة صنوف الأسلحة الثقيلة، من مدفعية وطيران ومدرعات، وأيضاً براميل الـ تي إن تي، والتي صار يستهدف بها الأبنية فتنهار بالكامل، بينما فشل في الهجوم على الخالدية من جهة شارع القاهرة، وتقدّر الكلفة البشرية التي تكبّدها النظام في سبيل ما حققه الشهر الماضي، بمئات القتلى والجرحى، وبأعداد أكبر من الأسرى الذين وقعوا في قبضة الجيش الحر.

من جانب آخر، انطلقت جماعات الثوار لاستكمال تحرير حي القرابيص، وتمت العملية بنجاح، تلاها تقدّم هائل للثوار على جبهة حي القصور، حيث تمّ استرداد قسم منه، أما مديرية المصابغ على شارع الميماس، والتي كانت في وقت سابق مركزاً لقوات النظام، أصبحت اليوم تحت نيران الجيش الحر، بعد أن استولى على كل الأبراج المطلة عليها، وبسبب خوف النظام من استيلائهم عليها بالكامل واغتنام الأسلحة الموجودة فيها، قام بقصفها بالطيران.

وحي الوعر الذي يقع في الجهة الشمالية الغربية لمدينة حمص، والذي أصبح، منذ عام، ملاذاً للعائلات المهجّرة من أحياء حمص القديمة والخالدية وجورة الشياح والقصور والقرابيص، فاكتظ بآلاف العائلات، وبات يضم الآن اليوم حوالي ٥٠٠ ألف نسمة، معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال، ويتعرض منذ حوالي الشهر إلى قصف مدفعي متقطّع بقذائف الهاون التي تنطلق من الكلية الحربية، ويبدو أن الغاية من هذا القصف، هو تهجير ما تبقى من سكان حمص، لإخلائها بشكل كامل، وبالمقابل الثوار في حمص القديمة، يردّون على جيش النظام بإطلاق قذائف هاون مماثلة على الأحياء الحاضنة للشبيحة، وهكذا تتوازى قوى الردع، فيتوقف النظام عن قصف الوعر، ويذكر أن حي الوعر يضم الآن ما تبقى من سكان حمص، بعضهم يقطنون في البيوت والآخرون في المدارس، ويعانون جميعاً من غلاء الأسعار وشحّ الموارد، بالإضافة إلى المداهمات والاعتقالات المستمرة، والتي يشرف عليها فرع أمن الدولة في حمص، وهو الفرع المتخصّص بمنطقة الوعر.

أما الريف الشمالي وبالأخص الرستن وتلبيسة والغنطو فهو يتعرض لقصف شبه يومي، وكذلك حال منطقة الحولة في الريف الشمالي الغربي.

لم تشفع له سلميته في مواجهة نظام القتل
الشهيد معن العودات

لقب بجيفارا حوران، نظراً لتوجهاته الفكرية اليسارية، واندفاعه الثوري غير المحدود، فقد كان أحد أهم قادة المظاهرات ومحركوها في حوران، من أسرة ذات تاريخ سياسي طويل، فوالده معارض سجن وعذب على زمن حافظ الأسد، وتوفي بسبب حصار درعا على زمن وريثه بشار، وشقيقه أيضاً المعارض المعروف هيثم مناع.

الشهيد معن العودات، (مواليد درعا ١٩٥٩)، مهندس معماري، أو مندس حوراني كما يحب أن يسمي نفسه، اعتقل إبان الثورة عدة مرات، وما أن يخرج من المعتقل حتى يسارع إلى الانخراط في المظاهرات، ومواكب تشييع الشهداء، حتى وضعت رصاصة قناص غادر، من جيش النظام، حدا لحياته في ٢٠١١/٨/٨ أثناء تشييع الشهيد محمد الأكراد في منطقة درعا البلد.

يعتبر الشهيد معن العودات أحد أهم رموز النضال المدني السلمي في حوران، وأحد أركان الحراك في مرحلته السلمية قبل أن تجبر همجية النظام وإمعانه في قتل المطالبين بالحرية، بما فيهم دعاة السلمية، للتحول إلى العمل العسكري الثوري بشكل كامل.

الشهيد معن العوادت جيفارا حوران

هل وصل النظام إلى الخيار الانتحاري؟

رند بيطار

أمام كاميرات الصحفيين والناشطين، تهاطلت عبوات الغازات السامة على سراقب يوم ٢٠١٣/٤/٢٩، مخلفة العديد من الضحايا بين شهيد ومصاب نقل بعضهم إلى تركيا لخطورة حالته.

ما الذي يريده النظام من وراء ذلك؟، هل يريد أن يوجه رسالة تهديده إلى المجتمع الدولي بأنه قد يلجأ إلى هذا الخيار الانتحاري، ويهدم المعبد على نفسه وعلى الآخرين؟ فمن بديهيات الأمور أن استخدامه لهذه الأسلحة سوف يؤدي لتدخل عسكري دولي، ليس لأن ذلك خط أحمر رسمته أمريكا والغرب، بل لأن الرأي العام العالمي لن يبقى حيادياً، فيما لو ظهرت صور الضحايا مثلما ظهرت في حلبجة العراق.

وعلى الرغم من أن استخدامه لتلك الأسلحة حتى الآن هو استخدام تكتيكي محدود، إلا أن هذا الاستخدام قد يؤدي إلى رفع سقف المسموح به دولياً شيئاً فشيئاً، ولا يجب السكوت عنه. لكن أيضا من الواجب أن لا يستسلم الثوار لهذا التهديد، وكأنه قدر لا مفر من الرضوخ له، وعليهم أن يعلموا أن السلاح الكيميائي يمكن تجنبه، فيما لو اتخذوا بعض الاحتياطات المناسبة، وحتى في حال الإصابة به، يمكن أن يعالجوا آثاره.

يعتبر القناع الواقي من الغازات الذي يمكن تصنيعه بمواد بسيطة أهم أدوات الوقاية، يتلوه في الأهمية الرداء البلاستيكي، أما في حال الإصابة فإن حقنة اتروبين أو ديازبام، قد تكون كافية للعلاج.

هذا طبعا غير عدم البقاء في مناطق محصورة، ومغادرة المنطقة الملوثة إلى مكان مرتفع أو منطقة مفتوحة.

ولا ننسى أيضاً أن توثيق أي جريمة من هذا النوع، هو عمل بالغ الأهمية، فالنظام يعمل اليوم على نطاقات محدودة، ليستكشف رد فعل المجتمع الدولي، فإن لم تصل إليه الصورة والأدلة المقنعة، فإنه لن يتوانى عن استخدامه بشكل كثيف كما استخدم كل أنواع الأسلحة.